((**رحيم**)) أي ذو رحمة ذو رحمة بالغة قال الله تعالى: ((**فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة**)) والرحمة صفة حقيقة ثابتة لله عزوجل بالقرآن والسنة وإجماع السلف ؛ وقد أنكرها أهل التعطيل الذين حكموا على الله بعقولهم وتركوا الكتاب والسنة ؛ لأن من أصول عقيدتهم أن تلقي الصفات من العقول فما اقتضى العقل نفيه وجب نفيه وما اقتضى إثباته وجب إثباته وما لم يقتضي نفيه ولا إثباته توقفوا في ، ويقول شيخ الإسلام إنهم انقسموا في قسمين، بعضهم توقفوا فيه وأكثرهم نفاه، قالوا لأنه لابد من دليل إيجابي على ثبوته وأنت ترى أن هذا الأصل الخبيث يستلزم تنكير ما جاء في القرآن وإثبات ما لم يأت في القرآن ؛ لأنهم إذا قالوا إذا أثبت العقل شيئا أثبتناه يعني سواء يوجد في الكتاب والسنة أم لا ، وإذا نفى شيئا نفيناه ؛ هذا في معبودهم وإلههم يتصرفون هذا التصرف ؛ ولاشك أن الإنسان إذا تأمل هذه القاعدة الخبيثة لوجدها خطرا عظيما ولو لا أنهم يعذرونهم بأنهم قالوا ذلك تأويلا لكان الأمر خطيرا جدا ؛ نحن نؤمن بأن لله تعالى رحمة ، هم لا ينكرون الرحمة يعني إنكارا يعني أنهم ينكرونها إنكار تكذيب لكنهم ينكرونها إنكار تأويل ولذلك لم يكفروا ، لو أنهم أنكروها إنكار تكذيب لكفروا ؛ لأن هذا تكذيب للخبر لكنهم ينكرونها إنكار تأويل ويقولون إن الرحمة ، الرحمة هي الثواب أو إرادة الثواب ؛ إما الثواب وتعلمون أن الثواب شيء منفصل عن الله عزوجل مخلوق عن بائن الله ، وإرادة الثواب صفة في ذات الله ؛ لكن هم يقرون بالإرادة يثبتون الإرادة التي هي إحدى الصفات السبع؛ وعجبا أنهم يثبتون الإرادة بطريق خفي وينكرون الرحمة مع أن طريقها واضح؛ الإرادة يقولون نحن نستدل بأن الله مريد بالتخصيص يعني كونه يخصص مثلا اللسان على هذا الوجه مستطيل القامة يريد بعقل وما أشبه ذلك وخصص البعير بخصائصها والشاة بخصائصها والشمس بخصائصها والقمر بخصائصه هذا يدل على أيش ؟ على إرادة ؛ لأنه لو لا الإرادة لكانت المخلوقات كلها سواء ؛ لكنهم يقولون التخصيص يدل على الإرادة؛ دلالة التخصيص على الإرادة إرادة خفية ما كل إنسان يعرفه حتى طلاب العلم ما يعرفونه إلا إذا قرءوا ؛ لكن دلالة النعم على الرحمة واضحة أو غير واضحة ؟ واضحة ، كل يعرف أن من رحمة الله جعل الليل والنهار وجعل الأمطار والأنهار وغير ذلك يعرفها الخاص والعام ، العجيب أنهم يقولون الرحمة لا نثبتها لانتفاء دلالة العقل عليها والإرادة نثبتها لدلالة العقل عليها ، فيقال: سبحان الله ! أيهما أبين ؟ دلالة العقل على الرحمة أو على الإرادة ؟ على الرحمة لاشك . في هذه الآية الكريمة فوائد ؛ أولا: حث الإنسان على التوبة حتى لو ظلم ؛ لقوله: ((**فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليهم**)) والله تعالى لم يقل هذا لمجرد خبر بل لأجل الحث على التوبة . ومن فوائد هذه الآية: أن التائب من الظلم مهما كان حتى من الشرك إذا تاب وأصلح فإن الله يتوب عليه ؛ وإنما قلنا ذلك لأن الظلم يشمل الشرك كما قال الله تعالى عن لقمان أنه قال لابنه: ((**يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**)) .

ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أن فعل المعاصي وترك الواجبات ظلم ؛ لقوله: ((**من بعد ظلمه**)) وهذا واضح أن النفس عند الإنسان أمانة يجب أن يسعى لها ما هو الأصلح والأنفع فإذا خالف فهو ظالم خائن للأمانة . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: أنه لابد في التوبة من الإصلاح ؛ لقوله: ((**وأصلح**)) ولكن هل الإصلاح شرط للتوبة في جميع الأعمال أو شرط للتوبة في ذلك العمل الذي وقع فيه الظلم ؟ الثاني ؛ ولهذا نقول الصحيح أنه يجوز أن يتوب من ذنبه مع الإصرار على غيره، هو لا يستحق أن يسمى تائب على وجه الإطلاق بل يقيد إنه تائب من كذا ؛ إذا ((**أصلح**)) أي ما فسد بظلمه وإن لم يكن أصلح جميع أحواله . ومن فوائد الآية الكريمة: تأكيد توبة الله على من تاب وأصلح ؛ لقوله: ((**فإن الله يتوب عليه**)) وقد مر علينا شروط التوبة قريبا وأنها ؟ خمسة طيب . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: بلاغة القرآن الكريم ، حيث يختم الأحكام بما يناسبها من أسماء الله ؛ لقوله: ((**إن الله غفور رحيم**)) . ومن فوائدها: إثبات هذين الاسمين الكريمين لله عزوجل: غفور ، رحيم . ثم قال الله تعالى: ((**ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء**)) ((**ألم تعلم**)) الخطاب لكل من يصح توجه الخطاب إليه ، كل من يصح توجه الخطاب إليه فإنه داخل في قوله: ((**ألم تعلم**)) لأنه نرى أن خطاب المفرد في القرآن الكريم يشمل كل من يتأتى خطابه أو نقول كل من يصح توجيه الخطاب إليه إلا إذا دل الدليل على أنه خاص بالرسول عليه الصلاة والسلام فيكون خاصا به ؛ فمثلا ((ألم نشرح لك صدرك)) ؟ خاص ، هذا خاص ؛ لكن إذا جاء من غير أن يكون هناك دليل على أنه خاص بالرسول فإن القرآن يخاطب كل الناس ؛ فإنه يحمل على أيش ؟ أنه موجه إلى كل من يصح توجه الخطاب إليه؛ وقد ذكرنا فيما سبق الخلاف في هذا هل هو موجه إلى الرسول أولا ثم لغيره ثانيا ، أو لغيره أولا ثم لغيره تأسيا ، أو لكل من يصح الخطاب وهذا هو الأولى ؛ ألم تعلم أيها المخاطب أن الله له ملك السموات والأرض ، وأتى بهذه الآية في مكانها اللائق لأن ما سبق كله في إقامة الحدود، فلعل النفس تقول لماذا هذه الشدة ؟ لماذا هذه ؛ فقال الله عزوجل: ((**ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض**)) ؟ والاستفهام هنا للتقرير ، له ملك السموات والأرض إذا كان له ملك السموات والأرض فإنه يحكم بما شاء ويفعل ما شاء ؛ ولهذا قال: ((**يعذب من يشاء ويغفر لمن يشاء**)) في هذه الآية قدمت تعذيب على المغفرة، وفي آية أخرى ؟ قدمت المغفرة على التعذيب والمناسبة واضحة يعني هنا الكلام على أيش ؟ على الحدود والعقوبات فناسب أن يقدم التعذيب على المغفرة . وقوله: ((**يعذب من يشاء**)) لا تظنوا أن الله إذا قال يفعل ما يشاء يحكم ما يشاء يحكم ما يريد لا تظن أن الأمر على غير الحكمة ؛ بل يعذب من يشاء إذا اقتضت الحكمة تعذيبه ويغفر لمن يشاء إذا اقتضت الحكمة أن يغفر الله له ؛ ولهذا قال الله عزوجل: ((**لمن شاء منكم أن يستقيم وما تشاءون إلا أن يشاء الله إن الله كان**

عليما حكيما)) . وقوله: ((**والله على كل شيء قدير**)) ختم بهذه الآية ومن قدرته عزوجل أن أمر بعقوبة الجناة على الوجه المذكور؛ القدرة هي فعل الشيء بدون عجز ؛ فالله تبارك وتعالى يفعل ما يشاء بدون عجز، قال الله تعالى: ((**وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا**)) فهو سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء ؛ القوة ويش ضدها ؟ الضعف نعم ، قال الله تعالى: ((**الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة**)) لكن القدرة ضدها العجز ؛ ما الفرق بينهما ؟ الفرق بينهما أن القدرة لا تقوم إلا من ذي إرادة والقوة تكون من ذي الإرادة ومن غيره ؛ فالإنسان يقال قادر ويقال قوي ؛ الجدار يقال قوي ولا يقال قادر ؛ لأن القدرة لا تكون إلا من ذي إرادة ((**والله على كل شيء قدير**)) . في هذه الآية الكريمة من الفوائد أولا: تقرير عموم ملك الله عزوجل ؛ لقوله: ((**ألم تعلم أن الله له ملك السموات والأرض**)) . ومن فوائدها: أن الملك العام للسموات والأرض خاص بالله ؛ دليله ؟ تقديم الخبر في قوله: ((**له ملك السموات والأرض**)) قال علماء البلاغة: وتقديم ما حقه التأخير يفيد الحصر والاختصاص. ومن فوائد الآية الكريمة: أن ملك السموات والأرض لله لا يشارك فيه أحد ؛ قال الله تعالى: ((**والذين يدعون من دونه ما يملكون من قطمير**)) وقال تعالى: ((**لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير**)) . فإذا قال قائل: كيف نجمع بين هذه الآية الكريمة واختصاص ملك السموات والأرض بالله وبين قوله تعالى: ((**أو ما ملكتم مفاتحهم**)) ((**أو ما ملكت أيمانكم**)) وما أشبه ذلك من إثبات الملك للمخلوق ؟ فالجواب سهل، ملك الله عزوجل عام يتصرف كما يشاء وفي كل شيء، ملك الإنسان خاص ومقيد أيضا لا يتصرف الإنسان في ملكه كما يشاء ؛ أليس كذلك ؟ ممنوع من الربا ، ممنوع من الغش ، ممنوع من المعاوضة في المجهولة بل ممنوع من أن يتلف ماله ؛ فالملك إذا قاصد تصرفا وعينا حتى الأعيان ما يملك الإنسان كل شيء، يملك ملكه الخاص ؛ لكن ملك الله عزوجل عام في كل شيء في الأعيان والتصرف فيها ؛ ولذلك ليس لنا الحق أن نتصرف فيما ملكنا الله إلا بإذن الله . ومن فوائد هذه الآية الكريمة: إثبات العقوبة والمغفرة لله عزوجل؛ وذلك لكمال سلطانه ؛ لكن اجزم أنه لن يعذب أحدا إلا بذنب، بذنب يستحق العذاب عليه . ومن فوائد الآية: إثبات المشيئة لله ؛ لقوله: ((**يعذب من يشاء**)) ولاشك أن الله عزوجل له المشيئة التامة ، يقول المسلمون كلهم ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. فإن قال قائل: مشيئة الله في أفعاله واضح يعني كونه ينزل المطر وينبت النبات ويخلق السموات والأرض ويحيي ويميت هذا واضح ؛ لكن هل له مشيئة في أفعال العباد ؟ أجيبوا ؟ نعم له مشيئة في أفعال العباد ، قال الله تعالى: ((**ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر ولو شاء الله ما اقتتلوا**

)) كررها مرتين ليبين أن فعلهم بمشيئة الله عز وجل. ومن فوائد الآية الكريمة: إثبات قدرة الله عزوجل على كل شيء ؛ لقوله: ((**والله على كل شيء قدير**)) على كل شيء قدير فهو سبحانه وتعالى لا يعجزه شيء في السموات ولا في الأرض. وهل يستثنى من هذا العموم شيء ؟ أبدا لا يستثنى شيء ، هو قادر على كل شيء ولا استثناء . نقف هنا على رأس الحزب لأنه على رأيكم انتهى وقت الدراسة إلى أن تنتهي الاختبارات إن شاء الله تعالى .

السائل : لماذا لا يمكن السارق من إرجاع يده بعملية جراحية ؟

الشيخ : إذا عادت ما صار لك فائدة ، ما صار. .نحن ذكرنا ((**جزاء بما كسبا نكالا**)) فإذا أعيدت اليد ما تبين إن هذا سارق وأنه تقطع يد السارق فلم تكن لها فائدة ؛ أما قصة ماعز فقد تركوه يتوب فيتوب الله عليه ؛ وهذه المسألة نحن ذكرنا فيما سبق بالنسبة لعدم قطع ذكر الزاني قلنا لأنه فيه حد معلوم في الشرع فلا يتعدى ؛ فيه أيضا معنى آخر ، يد السارق إذا قطع صارت نكالا لأنها ظاهرة كل يراها لكن قطع الذكر من الزاني مستور لا يعلم أحد .

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ؛ ((**يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنة فلن تملك له من الله شيئا أولئك الذين لم يرد الله أن يطهر قلوبهم لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم**))

.

بسم الله الرحمن الرحيم ؛ هذه أول ليلة نبتدئ بها تفسير كتاب الله عزوجل بعد غياب طال وبما أن معنا الآن إخوان وبما أن معنا الآن إخوانا لم يكونوا حضروا من أول دراسة فإننا نحب أن نلقي شيئا من الأضواء على ما يتعلق بكتاب الله عزوجل فنقول: أولا معرفة تفسير كتاب الله فرض ، إما فرض كفاية وإما فرض عين ؛ وعلى هذا فمن قام بمعرفة تفسير قرآن الكريم فإنه قد قام بفريضة من فرائض الله عزوجل؛ ووجه كون التفسير فرضا أن الله تعالى قال: ((**كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته**)) وقال: ((**أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها**)) ومن المعلوم أن الله تعالى لم ينزل علينا القرآن لمجرد أن نتعبد بلفظه بل لنعرف معناه ونطبقه عملا وعلما وإلا لكانت فائدته قليلة ، لو كان المقصود مجرد أن نتعبد لله بتلاوته ؛ وقد كان الصحابة رضي الله عنهم لا تجاوزون عشر آيات حتى يتعلموها وما فيها من العلم والعمل . فإذا قال قائل: إلى أي شيء نرجع في التفسير ؟ كتب التفسير كثيرة وتناولها للقرآن على أوجه متنوعة فإلى أيها نرجع ؟ نقول أهم شيء نلاحظ في هذا ما يتعلق

بالعقيدة ، ما يتعلق بالعقيدة ؛ وعلى هذا فنحذر من كل من ينحى منحى أهل التعطيل في صفات الله عزوجل وأسمائه، فإذا عرف أن هذا التفسير من هؤلاء القوم فلنحذره حتى وإن كان فيه فوائد من الناحية اللغوية والفقهية لكن يجب أن نحذره في مقام العقيدة لئلا نزل ؛ ولنضرب لهذا مثلا: الكشاف للزمخشري لاشك أنه تفسير جيد في تحليل المعاني وفي ما يرمي إلى البلاغة وأن كل من كانوا بعده ممن ينهجون هذا منهج كلهم عيال عليه حتى إنك لترى العبارة عبارة الزمخشري بنصها و في هذه التفاسير ؛ لكنه في مسألة العقيدة سيء يجب الحذر منه حتى إنه قال بعضهم إنه لا يقتنع على ما في كتابه هذا من الاعتزال إلا بالمناقيش يعني أنه خفي كما أن الشوكة لا تخرج إلا بالنقاش كذلك لا يمكن أن يخرج الإنسان اعتزاليات صاحب الكشاف إلا بالمناقيش ؛ وضرب لهذا مثلا: قال إنه قال . عفى الله عنها وعنه . إنه قال في قوله تعالى: ((**فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز**)) قال: أي فوز أعظم من أن يزحزح الإنسان عن النار ويدخل الجنة ؛ الكلام هذا هل أحد يشعر بأن فيه انحرافا ؟ نعم ؟ قد لا يشعر بأن فيه انحراف؛ لكن إذا علمنا أن الرجل ذكي وأنه يغلف المعاني بما يخفى على كثير من الناس، فهو يريد بهذا أن ينكر الرؤية رؤية الرب عزوجل لأن رؤية الرب عزوجل أعظم فوزا من أن يدخل الإنسان الجنة ويزحزح عن النار ؛ لكن الرجل ذكي ؛ فمثل هذه العبارة يقرأها الإنسان على أنها عبارة سليمة ليس فيها شيء ولكن ظاهره فيه الرحمة وباطنه من قبله العذاب . إذا على أي تفسير نعتمد ؟ نقول أولا أن التفاسير الأثرية أي التي تفسر القرآن بالأثر عن الصحابة وعن كبار التابعين هي أولى ما يلتفت إليه ، وعلى رأسها تفسير ابن جرير ؛ لكن في تفسير ابن جرير آفة وهو أنه يطلق التفسير عن الصحابة والتابعين بأسانيد بعضها صحيح وبعضها حسن وبعضها ضعيف وكأنه رحمه الله يريد أن يجمع ما روي ؛ فإما أن المنية أدركته قبل تمحيصه وإما أنه يريد أن يكل هذا إلى القارئ ؛ ولهذا إذا مر عليك شيء مشكل من تفسير القرآن في الأثر في ابن جرير أو غيره فارجع إلى السند ، ارجع إلى السند ربما تجد فيه آفة توجب رد ما روي عن ابن عباس أو عن مجاهد أو غيره .
من خير ما نرى في التفاسير تفسير ابن كثير رحمه الله ، فهو تفسير أثري نظري لكنه أحيانا يتغابى عن الكلام عن بعض الإسرائيليات أو بعض القصص وهذه لاشك أنها آفة لكن كما قلت لكم متى أنكر قلبك شيئا من هذا فارجع إلى الأسانيد أو إلى أصل هذا المتن المروي قد يكون عن بني إسرائيل وهو من الأشياء التي رخصوا فيها (**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج**) لكن التفسير جيد . تفسير المتأخرين تفاسيرهم منها أشياء منها بعض التفاسير تجد الكلام الطويل العريض على الآية ثم إذا أردت أن تحصل منه شيئا لا تجد منه شيئا فهو قم هش فائدته قليل اللهم إلا النادر ؛ وعلى كل حال طالب العلم يستطيع أن يميز بين الغ والسليم؛ لكن هنا مسألة أحب أن أنبه عليها أني أريد منكم أن تحاولوا أولا فهم القرآن بأنفسكم ، اقرأ الآية تدبر معناها ثم سيكون لديك

شيء من المعنى ، بعد ذلك ارجع إلى أقوال المفسرين ؛ لأن تعويد الإنسان نفسه على أخذ المعاني أو بعبارة ثانية على تفسير القرآن نفسه يكسبه فهما كثيرا لأنه امتثال لأمر الله ((**ليدبروا آياته**)) لكن لا تجزم إذا كان الأمر ليس بواضح إلا بعد مراجعة كتب التفاسير . ومن المفسرين من ينحى منحا آخر كمسائل الفقهية مثل القرطبي رحمه الله فإنه ينحى هذا المنحى ، تجد تفسيره في مسائل كثيرة من مسائل الفقه وهذا طيب لاشك أنه طيب ويفيد طالب العلم . المسألة الثانية في التفسير: قال العلماء يرجع أولا إلى تفسير القرآن بالقرآن وهذا كثير، ثم تفسيره بالسنة ، ثم إلى تفسيره بأقوال فقهاء الصحابة ولاسيما من لهم عناية في تسفير القرآن كابن عباس وابن مسعود ، ثم إلى كبار التابعين الذين تلقوا التفسير عن الصحابة ؛ فمثلا إذا قال لك قائل: ما هي القوة المذكورة في قوله تعالى: ((**وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة**)) ؟ ننظر في القرآن ما نجد تفسيرا لها ؛ لكن نجد السنة، قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (**ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي**) إذا نفسر القوة بأنها الرمي أي تعلم الرمي، والرمي في كل زمان ومكان بحسبه، كان الناس في الأول يرمون بأيش ؟ بالنبال وما أشبهها ، ثم صاروا يرمون بالبارود بالنادق والرصاص ، ثم صاروا الآن يرمون بالصواريخ قريبة المدى وبعيدة المدى ؛ والقوة هي الرمية التي يفعلها الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم يشمل أي رمي يكون حسب أساليب الحرب التي في وقته . كذلك لو قال لك قائل: ما هو يوم الدين ؟ ننظر القرآن في فسرها ، قال الله تعالى: ((**وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين يوم لا تملك نفس لنفس شيئا والأمر يومئذ لله**)) إذا يوم الدين هو اليوم الذي لا ينفع فيه إلا العمل ولا يملك فيه أحد لأحد منفعة وأمثال هذا كثيرة . فإذا نفسر القرآن بالقرآن أولا ثم بالسنة ثانيا ثم بأقوال الصحابة لاسيما المعتنون بالتفسير ثم بأقوال التابعين الذين أخذوا التفسير عن الصحابة كمجاهد ؛ ولا يعني هذا أننا إذا رأينا الآية تحتمل معاني أخرى غير ما ذكر أن نقتصر على ما ذكر لأن كلام الله تعالى أوسع من أن يحيط به البشر ، قد يفهمون ونحن نفهم معنى آخر للآية ؛ لكن إن كان يضاد ما فهمه الصحابة والتابعون فإننا لا نقبله ؛ أما إن كان لا يضاده فلا مانع من أن نقول الآية واسعة ، الآية واسعة تشمل هذا وهذا لأن كلام الله واسع. القاعدة الثالثة: قد تكون الآية محتملة لوجهين فأكثر فماذا نصنع ؟ إذا احتمل وجهين فأكثر ؟ نقول أي هذه المعاني أظهر ، فإذا كان أحد هذه المعاني أظهر وجب حملها على هذا الأظهر ، يجب أن تحمل على الأظهر لاسيما إذا كان الأخفى ؛ فإننا نأخذ بالظاهر ؛ فمثلا قول الله تبارك وتعالى: ((**بل يداه مبسوطتان**)) تحتمل معنيين أحدهما أظهر من الثاني ، المعنى الأول أن المراد باليدين هما اليدان الحقيقيتان اللتان يأخذ الله بهما ويقبض ؛ المعنى الثاني: القوة ؛ لكن هذا المعنى الثاني بالنسبة للأول بعيد ، بعيد جدا ؛ فنقول لا يمكن أن نحمل على المعنى الثاني لأن المعنى الأول أظهر والله عزوجل لا يمكن أن يخاطب عباده بما هو

أظهر ويريد الأخفى، هذا مستحيل ؛ لأن الله تعالى قال: ((**يريد الله يبين لكم**)) ويقول: ((**يبين الله لكم أن تضلوا**)) فلا يمكن أن نحمل كلام الله عزوجل على المعنى الأخفى مع وجود الأظهر بل يتعين أن نأخذ بالأظهر . أما إذا كان المعنيان محتملان يعني أنه صالح لهذا وهذا فحينئذ إن كان المعنيان لا يتعارضان وجب حمل الآية على المعنيين جميعا ولا مانع وإن كانا يتنافيان وجب أن نطلب المرجح من الخارج ؛ لأن اللفظ الذي بين أيدينا ما فيه ترجيح نحتاج إلى مرجح من الخارج ، مثال الأول: قول الله تبارك وتعالى: ((**والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس**)) الليل إذا عسعس قال بعضهم معناها أقبل وقال بعضهم معناها أدبر وكلاهما صالح، في السياق وفي اللغة العربية ؛ فماذا نقول في مثل هذا ؟ نقول تحمل على المعنيين جميعا ولا مانع؛ لأن كلام الله تعالى واسع ؛ ومثله ((**البحر المسجور**)) البحر المسجور هل المعنى الذي سيجر ويكون نارا يوم القيمة أو المسجور المملوء أو المسجور الممنوع على الفيضان على الأرض ؛ فيه أقوال ، هل كل قول ينافي الآخر؟ لا ؛ هل المسجور ظاهرة في أحدها دون الأخر ؟ لا ، صالح للجميع ؛ حينئذ نقول المسجور الذي سيجر كما قال الله تعالى: ((**وإذا البحار سجرت**)) والمسجور المملوء كما تقول العرب دلو مسجورة أي مملوءة ؛ المسجور الممنوع كما يقال سجرت الدابة بالقيد أي منعتها من الشرور ؛ فالآية صالحة للجميع تحمل على الجميع ولا مانع لأن كلام الله عزوجل كما قلت لكم واسع . مثال آخر قوله تعالى: ((**والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء**)) يرى بعض العلماء أن المراد بالقروء الأطهار ويرى آخرون المراد بالقروء الحيض ؛ هذان المعنيان لا يمكن أن تحمل الآية عليهما جميعا ؛ لأنهما متنافيان ؛ إذا لابد من مرجح خارجي ، المرجح الخارجي إما من السنة أو من الكلام العرب أو من غير ذلك، المهم لابد مرجح ؛ إذا رجعنا إلى المرجح الخارجي وجدنا أن النبي صلى الله عليه وعلى وآله وسلم أطلق الأقراء على الحيض فقال للمستحاضة اجلسي قدر ما تحبسك أقرائك أو كلمة نحوها ؛ فهنا نقول المراد بالقروء الحيض يتعين بدلالة السنة على هذا؛ وهذه قاعدة مفيدة لطالب العلم أنه متى احتملت الآية معنيين فأكثر ولا مرجح لأحدهما ولا منافاة بينهما فإنها تحمل عليهما جميعا . كذلك أيضا القاعدة الرابعة في التفسير: هل يجوز للإنسان أن يفسر القرآن برأيك أو لا يجوز ؟ لا يجوز ، ومعنى تفسيره بالرأي أن تحمله على ما تعتقد فتجعل القرآن تابعا لرأيك وعقيدتك ؛ وهذا يقع كثيرا في أهل الأهواء يحملون القرآن على ما يعتقدون فيقولون قد قالوا في القرآن برأيهم وهذه آفة قل من يسلم منها حتى الفقهاء رحمهم الله تجدهم إذا مر بهم النص وهو على خلاف ما يرونه تجدهم يحاولون أن يصرفوه إلى ما يرون ، وهذا ما يجوز، هذا يعني أن الإنسان جعل نفسه مشرعا مع الله؛ فالله يريد كذا وهو يحمله على غيره وهذا من أعظم المحرمات، تحريف الكلم عن مواضعه ؛ نعم لو فرض أنك حملته على غير ظاهره لدليل من القرآن والسنة فلا بأس؛ لكن لمجرد أن تعتقد خلاف ما يدل عليه الظاهر هذا لا

يجوز أبدا ولا يحل وهو من تحريف الكلم عن مواضعه ومن اتخاذ الإنسان نفسه مشرعا مع الله ؛ وهذا تجدونه كثيرا عند الفقهاء رحمهم الله في بعض المسائل تجد أن الإنسان يحرف الدليل تحريفا ظاهرا من أجل أنه يعتقد خلاف ما يدل عليه ولهذا أمثلة ، مثلا: يرى الفقهاء رحمهم الله أن الإنسان أن الرجل لا يجوز أن يتطهر بفضل طهور المرأة ويجوز للمرأة أن تطهر بفضل طهور الرجل، ثم يستدلون بقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (**لا يغتسل الرجل بفضل المرأة ولا المرأة بفضل الرجل وليغترفا جميعا**) ماذا نقول الآن ؟ تناقض ، كيف يستدل بهذا الحديث على منع تطهر الرجل بفضل طهور المرأة وجواز تطهر المرأة بفضل طهور الرجل مع أن الحديث واحد، الحديث واحد الذي يحمل على هذا هو اعتقادهم أن هذا هو الصواب . وكذلك حديث عائشة المشهور: (**من مات وعليه صيام صام عنه وليه**) هذا الحديث حمله بعض الفقهاء على أن المراد به النذر ، وقال إن المرء إذا مات وعليه صيام فرض رمضان أو كفارة فإنه لا يصام ؛ فلننظر يا إخواني ما الذي حملهم على صرف الحديث عن عمومه ؟ اعتقادهم أن الفرائض يكلف بها الإنسان بنفسه ولا يصوم أحد عن أحد ولا يصلي أحد عن أحد فانظر كيف حملوا الحديث على مسائل نادرة الوقوع وصرفوه عن مسائل كثيرة الوقوع ، أيما أكثر أن يموت الإنسان عن صيام رمضان أو عن صيام نذر ؟ الأول أشد ؛ وهذا خطأ في الاستدلال ؛ وقد مضت علينا في اقتضاء صراط المستقيم عن شيخ الإسلام رحمه الله نبأ على هذا ، أنه لا يجوز أن تحمل النصوص على المسائل النادرة وتترك المسائل الكثيرة الوقوع . يتعلق بالقرآن وتفسيره مراعاة المعاني فإن بعض الناس يقف موقفا لا يت مع المعنى ؛ وهذه مسألة تحتاج إلى فهم الإنسان لا إلى الرموز الموجودة في المطبوعات المصحف ؛ لأن بعض الرموز خطأ ، خطأ واضح ؛ لكن ترجع إلى فهم الإنسان ؛ أضرب لكم مثلا ، قال الله تعالى: ((**أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون**)) بعض الناس يصل فيقول: ((**أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون**)) وهذه يفسد به المعنى ؛ لأن جملة ((**هم ينشرون**)) مستقلة عن التي قبلها ومعناها أم لهم آلهة من الأرض أهم ينشرون يعني أهذه الآلهة تنشر ، تحيي الأموات فتكون الجملة هنا مستأنفة وهي استفهامية أيضا حذف منها حرف الاستفهام لإبطال دعوى هؤلاء لآلهتهم التي يعبدونها . كذلك أيضا بعض الناس يقرأ ((**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون**)) فيقف ((**لا تقربوا الصلاة**)) وهذا لا يجوز يعني إذا قرأ ((**يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة**)) ثم استأنف فسد المعنى ، فسد المعنى تماما ؛ أما قول الله تعالى: ((**فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون**)) فلا بأس أن تقف على قوله: ((**فويل للمصلين**)) لماذا ؟ لأنها رأس آية فالله تعالى أعلم بكتابه ، فإذا كانت رأس آية قف ولا مانع وإن تعلق ما بعدها بما قبلها ، ثم قد يكون فيه فائدة في الوقوف إذا قرأت ((**فويل للمصلين**)) وسكت ، الذي يسمع يقول كيف هذا ؟ ينتبه

تجده متشوفا لما يأتي بعدها فإذا قرأت ((**الذين هم على صلاتهم ساهون**)) قلبه وانشرح صدره ؛ فيكون في جعل ذلك رأس آية يكون فيها فائدة . كذلك أيضا من جهة التحزيب بالقرآن ، شيخ الإسلام رحمه الله انتقد التحزيب الموجود ؛ في بعض الأحيان تجد أن الحزب يقف على آية ما بعدها متعلق بها تعلق الروح الجسد لكن مكتوب مثلا حزب ، ثلاثة أرباع حزب ، ثمن، وما أشبه ذلك؛ يقول شيخ الإسلام رحمه الله: ما هكذا حزبه الصحابة ، الصحابة يحزبونه لكنهم يراعون المعنى فإذا كان باقي على اختتام المعنى سطر أو سطران أخفروا التحزيب وهذا صحيح ، في بعض الأحزاب تجد تتعجب كيف هذا آخر الحزب وما بعده متعلق به تعلقا واضحا ؛ هذا ما يحضرني الآن من الكلام على شيء من قواعد التفسير وقد ألفنا كتاب صغير في قواعد التفسير موجود في المعاهد يدرس فمن شاء فليرجع إليه.

السائل : هل يرجع في فهم كل آية إلى كتب التفسير المعتمدة ؟ وما هي أمثل طريقة في التفسير إذا وقع الاختلاف في تفسير آية ما ؟

الشيخ : ما هو لازم يرجع لكن إذا اضطر إلى مراجعة التفسير يرجع إلى هذا ؛ ولكن إذا كان فهمها من أصل ما يحتاج إلى الرجوع ؛ فمثلا إذا قال لك قائل: كيف أتوضأ ؟ هذا وافق الآية ((**يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق**)) فما حاجة أرجع إلى التفسير . عند الاختلاف نعم عند الاختلاف لابد أن نرجع إلى تفسير القرآن بالقرآن ثم بالسنة ثم بأقوال الصحابة ثم بأقوال التابعين .

السائل : بعض المفسرين المعاصرين يربط بين آيات القرآن وبين اكتشافات العصرية فما حكمهم ؟

الشيخ : نعم بعض المعاصرين الآن يحاول أن يربط الاكتشافات العصرية ؛ لكن بعضهم يتجاوز ويفرط في هذا ويفسر القرآن بما يطابق الحاضر وهو بعيد عنه؛ لكن إذا كان المعنى قريبا فلا بأس ، مثلا أنا رأيت بعض الناس أول ما قيل إنهم وصلوا إلى القمر صار يدندن على تفسير قول الله تعالى: ((**يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان**)) وقال إن هؤلاء نفذوا ، نفذوا إلى أقطار السموات وأن المراد بالسلطان هم العلم ؛ هذا حرام ما يجوز ، تفسير الآية بهذا المعنى حرام لا إشكال فيه ؛ لأن الآية ظاهرة جدا في أن هذا من باب التحدي وأنهم لا يستطيعون والله تعالى يقول: ((**من أقطار السموات والأرض**)) هل أحد نفذ من أقطار السموات ؟ يعني لو قلنا نفذوا من أقطار الأرض وتعدوا جاذبية ما نفذوا من أقطار السموات ؛ والآية واضحة بأنها يوم القيمة ، قال الله تعالى: ((**كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام ... يسأله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن ... سنفرغ**

لكم أيها الثقلان ... يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا لا تنفذون إلا بسلطان ... يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران ...))